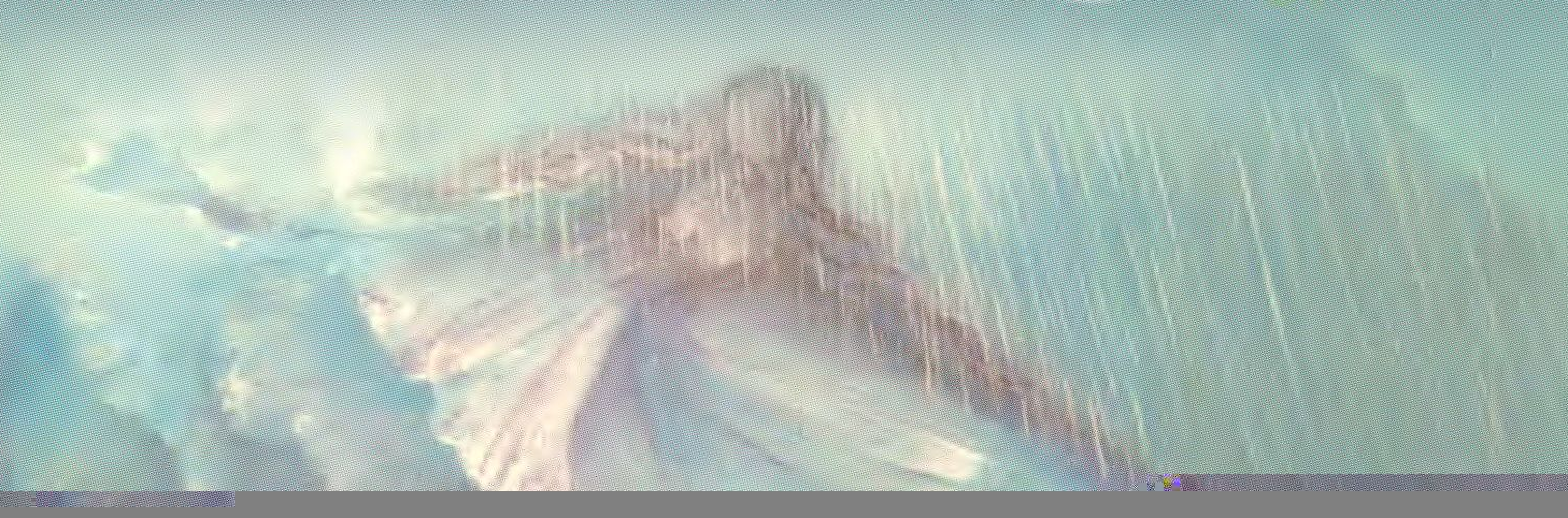
عبدالله المُطْمي

التحليق حول الوهج



إهـــــــداء٢٠٠٩

دار الكتب و الوثائق القومية

القاهرة

التحليق حول الوهج



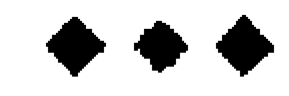
- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل.
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافي والعلمي مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة.
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب، ونشره وتوزيعه.
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه.
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية.

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد



مركز الحضارة العربية

4 ش العلمين – عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات – القاهرة

تليفاكس: 33448368 (00202)

www.alhdara-alarabia.com

E.mail: alhdara_alarabia@yahoo.com

alhdara_alarabia@hotmail.com

عبد الله المُطَيْمي

التحليق حول الوهج



الكتاب: التحليق حول الوهج

الكاتب: عبد الله المُطْمي

(السعودية)

الناشر: مـركـز الحضـــارة العربيـــة

الطبعة العربية الأولى: القاهرة ٢٠٠٨

الغلاف

تصميم وجرافيك: ناهد عبد الفتاح

الجمع والصف الإلكتروني:

وحدة الكمبيوتر بالمركز

تنفيذ: إيمان محمد

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٩٧٠٤

الترقيم الدولي: I.S.B.N.977-291-937-0

المطمي، عبد الله.

التحليق حول الوهج/ عبد الله المطمـــى. - القاهرة: مركز الحضارة العربيـــة للإعـــلام والنشر والدراسات، ٢٠٠٨.

٩٦ ص؛ ٢٠سم.

تدمك: ٥-٩٣٧-٢٩١-٩٧٧

١- القصص العربية.

أ- العنوان ٨١٣

إهداء

إلى روح جدي عبد الرحمن

الذي زرع في يدي قلمًا وأنبت في شفتي حرفًا،

إلى روح جدتي عائشة

التي سكبت في أذني رحيق حكاياتها من الأمس الجميل،

إلى أبي

الذي أمدني بزاد المعرفة في صحراء قاحلة لا تنبت حرفًا

ولا تثمر كلمة،

إلى أمي

الشمعة التي أضاءت لي دروب حياتي..

إليهم جميعًا أهدي هذه المجموعة.

.....

الرحلة الحلم

الرحلة الحلم

في ذلك الفج العميق المتنائي تعيش بكل قناعات الرضا، وجهها المشرق بنور الإيمان رغم أخاديد السبعين التي تتكئ عليها يضج بالسعادة والابتسامة، الكوخ الخشبي ودجاجاتها السبع هي كل ما تملك من متاع، إصرارها على السكن بمفردها بعد مغادرة قرينها وتفرق الأبناء جعلها تعتمد على نفسها في قضاء حوائجها. تقتعد كل عشية الصندوق الخشبي العتيق على الطريق الوحيد الموصل لمزارع القرية مخترقا مباني القرية الداكنة، راضية بالمردود الزهيد مقابل ما تبيعه من بيض دجاجتها وبعض آواني الخصف الذي تجيد صنعه. تسرح بعيدًا بعيدًا تنسى ما حولها ثم تعود مع كل قدوم لمشتر أو تحية لعابر يعيدها إلى لحظتها. الرحلة الروحانية الطويلة ما زالت حلمًا قويًا متوهجًا نشأ معها، ولكنه لم يهرم، تسافر روحها كل ليلة تحلق وتطوف في أقدس البقاع تصحو مبتسمة راضية قد عبّت من سلسبيل مائها وهوائها، هذا الحلم يقلها كل غفوة يطوي بها المسافات يبلغها غايتها المحببة يسيطر على كل أفكارها يزيد مع تقدمها في العمر، تضع القرش على القرش تجهز متطلبات الرحلة التي دنا موعدها

وأزف سيرها أصوات المودعين وأهازيج الموكب المعتادة ونحيب الباكين الذين فاتتهم فرصة المسير تودع موكب الحجيج بمهابة وقداسة. تبدو لها الرحلة طويلة بطيئة تريد أن تسابق الريح لتصل إلى حلمها الذي بدأ يتحقق وتخاف صروف الطريق أن تأد حلمها.

تبدو لهم مكة المكرمة بمبانيها الزاهية، وشوارعها المزدحمة، منارات البيت العتيق تخترق عنان السماء، وصوت المؤذن يشع في الفضاء نورًا يسري في الأرواح تتقدم الى الأمام تلج إلى الداخل شاخصة البصر لا تنظر إلى موطئ قدميها مشدوهة اجتاحتها رهبة، قشعريرة تسري في بدنها الناحل يصافح وجهها الكعبة المشرفة بلونها الأسود المهيب زغرودة تنفلت منها رغمًا عنها تلفت أنظار الطائفين، تخترق الجموع تتعلق بالأستار تنهمر دموعها ووجيب قلبها يكاد يبين، تطوف جسدًا وروحًا هذه المرة لم يعد حلمًا بل حقيقة.

تلتهم خطاها مسافات الطريق بين المشاعر لا تشعر بالتعب متعة روحية تستمتع بكل لحظاتها فليس في العمر بقية لتكرارها، ينادونها أن حانت ساعة الرحيل، تستمهلهم تترجاهم للحظات، سجدة واحدة، واحدة فقط خرت ساجدة وطال سجودها وصعدت الروح وظل الجسد خارًا ليس به حراك.

ثورة الحرمان

ثورة الحرمان

أصوات الثملين المنهكة وقرقعات الكؤوس الرشيقة المنتصفة الملء ودنس الآهات الغائرة في زوايا المكان تحاصره من كل جانب، تطعن بقايا حياء ورثه من تركات قريته القصيّة يبتسم رغم ألمه، يذرف الصمت لواذًا من حرج يفتر ثغره عن ابتسامة باهتة للعوب وشوشت في أذنه بجملة غنج لم يفهمها رغم ابتسامته البلهاء، بريق الأنوار وسحب الدخان الكثيفة يشعلان في نفسه بقايا حرمان قديم ويغيب ذاته اللوامة وتسبح في جسمه نشوة عنيفة، أطلقت كفه اليمنى أسيرتها، يتحرك من مكانه مع كل إيقاع غواية وجموح نزوة، يتمايل بين الطاولات المصفوفة، وصهيل الكأس يعربد في كل جزء من جسده، يزيد تمايلاً واهتزازًا مع كل أغنية رديئة ثم يعود منتصرًا على الصمت المذروف.

حرمانه القديم يملي عليه قراراته الجائرة لا يستطيع الفكاك أو العصيان، يظل مذعنًا لكل نزوة لذيذة يشبع بها سني حرمانه الجائع ويرضي نفسه المتناقضة.

ينتفض كالملدوغ مع بقايا وخز لضمير منهك وضجيج

صيحات احتجاج لرفات أشباح يعرفهم جيداً، لحظات ثم يعود لإذعانه المحبب إليه بين صحوة هزيلة وسكرة طويلة يتصرم ليله ويسير موكب زيفه وجوقته الخرساء تزفه بخطوات واهنة مع مواخير مغادرة ذابلة يلتهمها صبح الحقيقة الفاجعة.


الختان

الختان

كان الجد جالسًا في إحدى الغرف المنزوية بالدار الذي يعج بالحركة والزغاريد وتتصاعد من منافذه أدخنة البخور، يتهلل وجهه بشرًا، فمنذ أسبوع حل على المنزل ضيف جديد طالما انتظره وتمناه، واليوم تتم عملية ختان حفيده وسميِّه، لبس الجد أجمل ثيابه ووضع بجانبه رفيقته التي لا تفارقه، التي تشبهه، حيث احتلت جنباتها الأخاديد واكتسب حديدها صفة البلى، وعلت فوهتها التشوهات، تمامًا كفم صاحبها الخالي من الأسنان، فكم من أعيرة نارية غادرت ماسورتها، فهي قابعة صابرة إلى جانبه رهن إشارته.

ظل جالسًا منتظرًا المهنئين، مسندًا ظهره إلى الجدار، أطرق مسترجعًا ذكريات قديمة غطاها رماد الزمن، وأزالت رياح الذاكرة هذا الرماد، فأذكت نيران ذاكرته حتى غدا لا يسمع من بالدار، وراح يبرح مسافات زمنية خلفها عمره المديد، وبدأ النعاس يغلبه. امسك بالبندقية وجلس مع الحضور في ساحة القرية وأمامهم (المُدَرَّم) واقفًا بكل شموخ وتحد منشدًا (القيفان) والوجوه شاخصة بين معجب ومشفق، يخترق

الصفوف في سرعة رجل تبدو عليه الشدة والبأس، شاهرًا بيده سكّينته التي يتقاطر من حدها اللمعان كالسراب في الفلاة. ويضرب على كتف المُدَرَّم صائحًا (ازهمني عنك) وفي لحظة وقبل أن ينزل دمه تكون الزغاريد والأعيرة النارية قد تصارعت في سماء المكان، وصوت القوم وهم يطوِّقونَ (المُدَرَّم) من كل جهة. (كنك تقطع في الخشب، ياذا المعلي طحت في شوك النشب) طلق ناري من الخارج يهز صوته أرجاء المنزل ويرن في إذن الجد الذي أفاق من غفوته ممسكًا بندقيته خارجًا يرحب بالمهنئين.

البشارة

البشارة

ملومة أضحت عافت حتى النوم الذي كان حلمًا أن تنام ملئ جفونها حتى تصحو من تلقاء نفسها، كئيبة من حالتها المكرورة فمنذ تخرجها معلمة وهى رهينة في أحضان منزلها تتناوبها أفكار عديدة تمتطي صحوة خيالها وترخي له العنان قابعة في مكانها شاردة ساهمة النظر إلى اللاشيء، كأنها تشاهد مسرحًا يعج بالإحداث والصخب لا تملك حيالها إلا الفرجة أما آن لهذا المنقذ أن يأتي؟ صرخة سحيقة في أعماقها تطلقها كلما أسدلت ستارة مسرحها.

كانت تمني نفسها أن تمضي سحابة يومها مع تلميذاتها تحنو عليهن وتمسح على رؤوسهن وهن يرددن خلفها نشيدًا عذبًا وهى تتجول بينهن. يا مسعدة، صوت أمها يتمطى في أرجاء المنزل يخرجها من عالمها ويعيدها إلى المنزل الذي لم تغادره. نعم يا أمي، وهى في طريقها إليها، اجلسي يا بنتي لا مفر من النصيب وقد انتظرنا التعيين فطال انتظاره، جاء النصيب وسوف يكلمك أبوك في الأمر.

لحظات صمت وذهول، تجر خطاها إلى حجرتها، هل

نسيت الزواج فعلاً؟ إنني في عمره لماذا نسيته؟ لماذا غاب عن تفكيري؟ آه من هذا التعيين لا أتى الله به.

شعور بالارتياح، بالحياة، تريد أن تحلق أن تغني، مشهد واحد ظل يعرض على مسرح خيالاتها لا تمل مشاهدته بل تضيف عليه أدوارًا ومشاهد جديدة.

اسمعي يا بنتي هو شاب نرضى خلقه ودينه ونرجو أن توافقي عليه وسوف يأتي خالك للبت في الأمر وحسمه وعليك بالتفكير فالشأن لك أولاً وأخيرًا، أسبوع.. أسبوعان.. شهر.. يطول الانتظار وتزهر الأماني. يدلف الخال وهو ممسك بيد شقيقته أين مسعدة؟ أين مسعدة؟ أسئلة متلاحقة، تخرج أهلاً يا خال.. وقبل أن تكمل ترحيبها، ما هي البشارة؟

أرجو أن تكون بحجم الخبر، ينتابها شعور بالخجل، تزيد خفقات قلبها الراقص، ويحمر وجهها ناكسة رأسها صامتة، لقد عرفت قدوم الفارس على صهوة حلمها. قل لها يا أخي لقد أخجلت البنت وأحرجتها. مبارك يا ابنتي على تعيينك لقد ظهر اليوم.

صمتٌ، وجومٌ، تبادل نظرات بين الأم وابنتها لم يفهم كنهها الخال.

انفراج

انفراج

لم تكد تندمج في عملها وتواصل مواكب سرورها منذ فترة انفراج قصة التحاقها بعملها الذي تعبت وحلمت من أجل الوصول إليه وكاد يأد هذه الفرحة والنجاح الشقيق الأكبر لولا تدخل أهل الحل في أمر عملها، حتى ظهر ما لم يكن في الحسبان؟

لم تكن طبيعة عملها السبب فهو أقصى ما تحلم، لم يكن مديرها كذلك فهو لا يدري عنها شيئًا حاولت أن تشرك أحدًا في همها، تبوح له، أن تشتكي، لكن لا طريقة أمامها، لو علم أخوها كانت حجة، ظلت صامتة صابرة وإن كاد وجهها يشي بمكنون نفسها، ويفضح أمرها سرحانها الدائم. تذرع بحذر الممرات كالنحلة تتنقل من قسم لآخر ومن غرفة لأخرى تجلب معها المواساة والرحمة وتزرع ابتسامتها في وجوه المرضى المتغضنة وشفاههم اليابسة فيورق الأمل والفرح، وتنشرح الصدور تجمع قوتها اللذيذ دعوات مرضاها التي تكاد تخرج همسًا من حناياهم وقلوبهم الواهنة فتنصرف راضية.

في أقصى الممر وفي غفلة لم ينفع معها حذرها كان

الذي لم يكن في حسبانها يسد دربها ضاق الممر تلعثمت ارتعشت حتى لم تع كلامه الخفيف، وان كانت تعرف مقصده الخبيث وفجأة وعندما غادرت كفها صفحة خده الناعم واصلت طريقها أكثر جرأةً وحماسًا..

التحليق حول الوهج

التحليق حول الوهج

مترددة خائفة من عاقبة فعلتها إن هي فعلتها، جسورة أحيانا لحد التأهب، أسئلة عديدة تُلِحُّ عليها تحاول طردها حتى لا تؤثر على قرارها، شاردة الذهن لا تريد إشراك أحدٍ كائنًا من كان... أجمعت أمرها بليل ثم في هدأته اعتمرت رأسها بشماغ جلست خلف المقود، بهدوء ظاهر يخفي في داخلها انفعالات بركانية مكبوتة وعصبية تبدو على بعض حركاتها، ظلّت تجوبُ الشوارع الخالية في حذر تلفت دائم لا أحد..

بدأت تهدأ وتتحكم في حركاتها وتستمتع كل الاستمتاع. أوقفتها بكل عناية في مكانها تمامًا دون تغيير لمحتوياتها الداخلية

لم تنم ليلتها فرحة بنجاح محاولتها، جذلة لحد التحليق ترفرف بذراعيها في أرجاء الغرفة تترنم تغني وقد استحالت الغرفة فضاء واسعًا تنفذ خلال جدرانها كفراشة زاهية الألوان غير عابئة بغواية التحليق. كانت تنتقي الأوقات لتكرارها تجرأت بدأت تخرج بهيئات مختلفة، تذهب متأخرة قليلاً توقفها في الطرف البعيد المظلم المنزوي. تترجل بكل ثقة تأخذ غرضها وتتصرف

وتعاود التحليق من جديد في فضائها الرحب وتزداد نشوتها الراقصة حتى لم تحس بلظى الوهج وخطورته من حولها. امتطتها محلقة دون وعي منها بالوقت أو حتى هيئتها لم تشعر إلا بإحاطتها من كل جانب، صخب الأصوات والأبواق يصم الآذان انتفضت كالملدوغة تتلفت يمنة ويسرة تدس رأسها للأمام لم تُجدِ محاولتُها، كان موعد العودة والانصراف من الأعمال، ازدادت عصبيتها كثر التفاتها عرقها يتصبب رغم التكييف تبللت ملابسها خاصة الملاصقة للمقعد الجلدي، كاد يغمى عليها لولا بقية من جسارة أسعفتها استسلمت لواقعها مطوحة بيدها في فضاء السيارة فليكن ما يكون..........

شعت أنوار الإشارة الضوئية الخضراء إيذانا بالعبور هبت المركبات المختلفة منطلقة ومطلقة أبواقها المصرة على نعيقها المزعج انطلقت معهم في موكب عظيم يكاد يغص بهم الشارع الفسيح كل في وجهته وهمه.

قرار

قرار

يعبثان ببعضهما كثيرًا وهما في نشوة طاغية السعادة الباذخة تحكم مملكتهما الصغيرة، التي تمتد أطرافها لتحوي كل حجرات المنزل الجديد.

- اسمعي أريده ولدًا وسوف أسميه أنا وأريده يشبهك تمامًا وأريده...

- هيه هيه ماذا أبقيت لي. ردت عليه موقفةً سيل طلباته.

- لكِ اختيار الملابس. و.. و..

- وماذا يا دكتاتور؟

- وتسريح الشعر فقط..

ضحك وضحكت.

تحضن رأسه، تلعب بشعره فيرى أحلامه حقيقة بمختلف الألوان عندما تصافح عيناه سنا وجهها.. روحان محلقتان بعيدًا عن إيقاع الواقع وإزعاجه.

متنهدًا: الله يعطينا خير هذا الضحك.

- آمين.. لِمَ التشاؤم يا حبيبي؟

- لست كذلك ما دمت معك يا حياتي ولكن...،

أخاف على حياتنا السعيدة من غدر الأيام فاللحظات السعيدة تظل قصيرة وإن طالت.. ولكنها معك ستدوم بمشيئة الله إلى الممات بعد عمر مديد.

- لا تنس المرور على الطبيب أثناء عودتك في الغد.

في أروقة المستشفى وبعد مغادرته العيادةكانت هالة ضبابية تغشى بصره ينتعل خطاه البطيئة لا يرى من حوله كيف وصل إلى سيارته لم يشعر بالطريق وضوضائه وصخب الشارع المزدحم في مثل هذا الوقت من الظهيرة. في غرفة مكتبه ظل مطرقًا حائرًا داسًا رأسه بين كفيه مستندًا على مرفقيه مشتت التفكير، نفرت أحلامه وجفلت سعادته، يراوح بين أمل موؤد وقرار مر، أنفاس حرى، لم تهدأ حركات ركبتيه طوال جلوسه، تنهيدة مكبوتة لو كانت هي؟ لو... نهض إلى غرفة نومه يرسف في همومه يجر خطاه الهزيلة... سامرية عذبة أوقفت وهن مشيته، أصغى سارق السمع دون أن يلتفت....

- (يا بو فهد مني غدا الشوق ويلاه، يا بو فهد)..

التفت نحو الصوت ويا ليته لم يلتفت، ذراعان بضّان يعرفهما تمامًا تحملان لفافة كالطفل تتحركان يمينًا وشمالاً صرف وجهه سريعًا، قائلاً:

- طالق طالق طالق ثم هوى أرضًا.

الرحيل الصامت

الرحيل الصامت

منذ أن وعت ذاكرتي الصغيرة تعاقب الأحداث إلى أن غيب في الثرى لم يتغير شكله، قصير القامة، نحيل الجسم، دقيق الساقين بالكاد تحمله، فمه خالٍ من الأسنان تمامًا يكاد شدقاه يلتقيان من الداخل ببعضهما ومع هذا فقد اشتهر باسم (أبو سن).

طالما سألت وبحثت في صغري عن هذا السن بمراقبة فمه أثناء حديثه فلم أجد له أثرًا، وجفَّ السؤال على لساني دون إجابة ترويه، تغزل بديهته ردودًا ذات دعابات طريفة، تجبر الضحكة على السفور، وتعبق ذاكرته فتبعث حكايا السنين بشذاها القديم وعبقها المعتق جمَّعت الناس حوله للضحك والإيناس، تتخللها حدة في مزاجه عندما يكثر عليه الجمع فلا يزيدون إلا متعة وهو في قمة غضبه.

لم يتزوج طيلة حياته رغم محاولة عقيمة لم يحالفها النجاح بعد أحداث في غاية الطرافة لم يفصح عنها غير لقلة.

نصابُ بالذهول والعجب صغارًا من قدرته على إنجاز عمله وتحكُّمه من أدواتِهِ في أعمال الزراعة لأهل قريته

والتي لا تخلو من أثر له فيها، كنا نعزو ذلك إلى خفة وزنه الذي ساعده على الإتقان. عندما وهن عظمه اعتزل المزارع تمامًا، مما زاد من فرص اللقاء فتجمعنا العصاري والأعياد القروية بطابعها الريفي العبق فتجد الحديث منصبًّا نحوه من كل جانب منتظرين متلهفين تعليقاته اللاذعة والمضحكة، من حين إلى حين يتمتم بشعر هجاء من نظمه ينفِّس به عن همومه التي تعتريه فتتلقفه الأسماع وتنشره الأفواه ضحكًا وتندرًا، هرعنا للقائه المعتاد فوجدناه واهنًا يصارع المرض قد ذبل الكلام في شفتيه فتجمدت الضحكة على شفاهنا، ثم رحل بصمت وطويت صفحته والتي ما زالنا نقلبها بين حين وآخر.

رضوخ

رضوخ

مانعتْ جمحت، رغم غلظة الشكيمة وإحكام اللجام، لم يكن سائسًا ماهرًا كان محبًا وصبورًا فقط، علقم الليالي وصهد الأيام جعلاه يبدو أكبر من عمره، رمقتْ أبناءها الثلاثة مليًّا وهم يحيطون أباهم بحميمية، نمتْ مشاعر دافقة داخلها، أزمعت أن تعوضه عمّا كانت قد حرمته.



ندم

جميلــة جــدًا لا مباليــة ، غــادرت كــل الأصــوات الناصــحة، ملّتهــا ، عافتهــا ، متماديــة مــع صــهيل غيّهــا الصّــاخب صــعقت، ذهلــت مــن وشــاية مرآتهــا وهــى تريهــا عناقًا حارًا وحميمًا بين غريبتين تسلّلتا غفلة إلى مفرقها مع مشطها الأسود ، تنبهّتْ. تلفّتتْ لم تجد حولها أحدًا.

انتصار

انتصار

لم تتركه يكمل كلامه، غادرته وهو يلوك جُمله ممتطية كبرياءها الشامخ، لم ييأس حاول، أرسل، استعطف، يدلق غُصَنَصَه المرّة في جوفه انتظارًا لقبول، عندما أناخ كبرياءها وترجّلتْ صوبه وقف وببرودٍ قال: لا أريدك.

وداع

وداع

لـوَح بيـده مودعًـا وهـو ينظـر خلفـه، لم يكـن يراهـا يسمع صدى صوتها يتردد بين جنبيه، ظل يصغي ويصغي حتى احتضن الفراغ الذي أمامه مطوقًـا بذراعيـه خيالها، مترنمًا مغمض العينين.


إياب

إياب

في عودته السريعة لم يكن دفء الفراش وحر الأنفاس توقه الأول وإن كان مُحَبَّبًا ، أنفاس القرى وأحاديث الكهول وسلطنة البدر في تمامه ليلاً والانعتاق من سجن وعبودية المدينة إلى حرية القرية هي المحرض.

استسلام

استسلام

لم يهابه رغم غدره الدائم، وشوشات أمواجه تغريه بالدنو مع معرفته بشرَاكِه الفتَّاكة، ظل أسيرًا له بطواعية متناهية بين أحضانه منشدًا القوافي العذبة.

الإيثار

الإيثار

كانت الأبرز بين كل الحاضرات لحفل العرس، شعرت أنها مثار حديث وهمسات المدعوات، تلتهمها النظرات بين حاسدة ومشفقة. تتنبه لهذه النظرات فترسل نظراتها إلى أسفل أو تحاول التحدث مع العروس تارةً ومع من تعرف تارةً أخرى لعلها تطرد عنها النظرات المتطفلة وتخرج نفسها من الإحراج والخجل الذي سببوه لها.

كانت متناسقة الجسم ذات شعر فاحم مرسل للخلف تتفجَّر أنوثة. تلك كانت فاطمة إحدى المدعوات لفرح زميلتها نورة ابنة أحد أعيان البلدة ووجهائها.

رأت فاطمة وهي تتسلم بطاقة الدعوة أنها فرصة سعيدة تلتقي فيها بصويحباتها القديمات زميلات الدراسة، ولتخرج من عزلتها التي فرضتها عليها ظروفها وأقعدتها عن التحصيل، والتفرغ لأعباء المنزل ورعاية أمها المريضة العاجزة عن القيام بأي عمل بالإضافة لأخيها الصغير.

كان دخل الأسرة قليلاً.. مرتب والدهم المتوفى، لم يكن كافيًا لمتطلبات الحياة، وكان الله لطيفًا بهم حيث يصلهم بعض المحسنين.

انقطعت فاطمة عن الدراسة مكرهة لعدم قدرتها التوفيق بين أعمال المنزل ورعاية أسرتها مع الدراسة إضافة لمصاريف ونفقات علاج أمها التي أصبحت فريسة لأمراض عديدة، كانت تبكي وتتأثر كثيرًا وهي ترى ذهاب الطالبات عندما ترقبهن من نافذة المطبخ إلى مدارسهن بجد ونشاط ولكم تمنت هذه اللحظات التي تكون فيها معهن ثم ما تلبث أن تتهمك في أعباء وأشغال البيت بعد غيابهن عن نظرها.

كل زميلاتها لم يعدن يزرنها رغم علمهن بظروفها إلا زميلتها وصديقتها نورة رغم الفارق بينهما في المستوى المعيشي فقد كانت تتبادل معها التزاور كثيرا وكانت تطمئن فاطمة بالخير لرعايتها أمها وتفانيها في برها وأن الله سوف يعوضها خيرًا وفرجًا، كانت لا تخفي عنها إعجابها بجمالها وحسنها وخلقها وكم تمنت نورة أن يكون لها أخ يتزوج بها، كانت هذه الكلمات بلسمًا يسعدها وهي تسمعها من صديقتها وتشعر بشيء جميل يغمرها وتتتابها سعادة تخرجها من همومها، بعد أن تغادر صديقتها تسرع بالجلوس أمام المرآة تنظر إلى وجهها مخللة شعرها المسدول على منكبيها والمتدلي إلى أسفل ظهرها بأصابعها تارة وأخرى بالمشط مستغرقة في سعادتها، مسكينة أنت يا فاطمة حتى أحلامك لا تطول فهاهو صوت أمها الواهن يوقظها من عالمها مناديًا طالبًا وسائلاً.

رجعت فاطمة بصحبة أخيها بعد قضائها ساعات قليلة في فرح صديقتها نورة، كانت تتمنى أن تجلس كثيرًا ولكن أمها المريضة تقبع في البيت ولابد من الرجوع إليها مبكرًا.

كعادة النساء في حب الثناء كانت تشعر بسعادة وانتصار في نفسها وهي ترى نظرات وإعجاب النساء بها رغم الإحراج الذي كان يعتريها، كانت تسأل نفسها، هل جمالي هو الطريق الوحيد كي أتزوج؟ ربما كان ولكن! هل يرضى بأمي وأخي أن يكونا معنا في بيت واحد؟ إن هذا هو الشرط لمن أراد أن أكون زوجة له. أسئلة وأجوبة تدور في رأس المسكينة المحملة بالهموم الكثيرة ولا تنتهي إلا بسريان النعاس إلى عينيها واستسلامها للنوم.

انقطعت عنها أخبار صديقتها نورة التي سافرت مع زوجها لقضاء شهر العسل الذي أمتد لشهور، في إحدى الليالي وبينما فاطمة منهمكة في أعمال البيت سمعت طرقات خفيفة على باب بيتهم العتيق، فتحته فكانت المفاجأة الجميلة، طال عناقهما ثم الترحيب بالصديقة العائدة من سفرها واستمر السمر بمشاركة أم فاطمة التي شعرت بتحسن في صحتها، والتي كانت تنظر إلى نورة نظرة حب وعطف ورضا لوقوف نورة المشرف معهم وتواضعها، وكانت تدعو لها بالخير في وجودها وغيابها.

استأذنت منهما للانصراف إلى منزلها بعد أخذها موعدًا من فاطمة لزيارتها في الغد صباحًا كي تحدثها في أمر هام، وعدتها أن تزورها كما أرادت ثم ودعتها.

في الموعد المحدد كانت يد فاطمة تضغط جرس باب صديقتها التي استقبلتها بحفاوة كبيرة وكان البيت خاليًا إلا منهما.نورة لا تدري كيف تبدأ الكلام ولكنها نطقت أخيرًا:

- اسمعيني يا فاطمة سوف أكلمك في موضوع غريب وعجيب عليك فأرجو الاستماع لي والإنصات جيدًا ولا تتعجلي، ولا أريد منك الرد الآن كل ما عليك الاستماع والتفكير فيما أقول.

فاطمة قلقة ومتلهفة إلى معرفة الموضوع الغريب.

- لقد تزوجت من قريبي أحمد وهو رجل طيب ومتدين وصاحب ثروة ويعرف حق الزوجية ويقدرها

وقد عشت معه هذه المدة القصيرة في سعادة وتفاهم، وقد أراد الله أن أكون عاجزة عن الإنجاب، وقد تأكدت من ذلك أثناء سفرنا، ولا تسألينا عن مبلغ الحزن الذي أصابنا والأيام التي أعقبت هذه المفاجأة، ولكن لإيماننا بأن الله قدر ذلك رضينا، والحمد لله على كل حال يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ويجعل من يشاء عقيما.

كانت فاطمة تتقطع ألمًا وهي تستمع إلى نورة وتبكي بحرقة، وبصوت مبحوح وكلمات مخنوقة سألت ما هو موقف أحمد؟ هل سيتركك أم ماذا؟ ووو..

- مقاطعة لها، أحمد رجل عاقل وقد طلبت منه أن يتزوج غيري وسوف أكون أسعد إنسانة بذلك نعم سأسعد وأفرح له، لكنه رفض الخوض معي في هذا الموضوع وأرجأه إلى وقت آخر، وقد طلبت منه البارحة وألححت عليه أن يتزوج وقد وعدني قائلاً: إن الأمر ليس بالسهل ومن الصعب بل العسير أن أعثر على مثلك، وهذه مجاملة منه لي وتطييب خاطر.

- كلا إنها الحقيقة يا نورة فمن المستحيل وجود مثلك وأصلك الطيب ومعدنك النادر.

- أشكرك يا فاطمة وقد آن الأوان لتسمعيني فإنني لم ادخل في صلب الموضوع بعد.

- تفضلي قولي يا نورة.

- لقد فكرت في فتاة مناسبة لكي يتزوج بها أحمد لعل الله يرزقه خلفة منها وإنني وجدتها واقتنعت بها وأريد أخذ رأيك فيها.

- من هي؟ أنا اعرف معظم بنات البلدة.

- إنها من خيرة البنات ومن أعزهن على نفسي، إنها أنت يا فاطمة.

- بعد أن عقدت الدهشة لسانها... لا لا لن أكون من يخطف زوجك منك... لا لا لا تحاولي لن أكون تلك.

- اسمعي لقد طلبت منك أن لا تردي علي الآن بل فكري جيدًا على مهل، سوف نكون يا فاطمة مع بعض دائمًا في بيت واحد، لا تنسي هذا أثناء تفكيرك.

في المساء كانت نورة برفقة أحمد متجهان إلى منزل فاطمة.

التائهة

النائهة

منذ استأجرته من موظف المكتب وأنا أتردد عليه بين وقت وآخر، أحس بالراحة كلما ذهبت إليه والفرح يغشى نفسي فيغسلها من كآبتها ويغمرها توق الانتظار الشهي ممنيًا نفسي بشيء جميل كلما فتحت بابه.

كعادتي في كل مرة أدخلت المفتاح ثم سحبت الباب، فوقع نظري عليها...

كانت المفاجأة!!! بيضاء ممتلئة منكبة على وجهها، أمسكت بكتفها وقلبتها على ظهرها حملتها بيديَ الاثنين، لم تفتح فمها بكلمة أبدًا، فقط ذكرتْ اسم شخص لا أعرفه، هززتها من منكبيها، بضة الجسم ناعمة الملمس كالحرير، رائحتها زكية يفوح من أعطافها رائحة الفل.

جلستُ قُبالتها أنظر إلى تضاريس جسمها وتفاصيله، أقلب أفكاري المتباينة في أمرها، يباغتني بين الفينة والأخرى سؤال نزق أطرده فيعود متلصصاً إلى فكري حتى فرض نفسه عليَّ جبرًا، هل أفضها؟

قفزت إلى ذاكرتي الجملة التي وعيتها ذات وعظ:

- (لا تفض الخاتم إلا بحقه)

- أي خاتم يا رجل؟!

نفسي اللوامة تعنفني تزجرني (لقد ضلت طريقها إليك بكل تأكيد فلا تكن هاتكًا لسترها).

أفقت، رجعت لرشدي، ثم أخذت نفسًا عميقًا، قمت من مجلسي وقد مددت لها يميني سائرًا بها إلى موظف المكتب، ناولته: خذ هذه لقد وجدتها في صندوق بريدي.


فلسفة

فلسفة

ظل ينتظر خروج أبنه من المدرسة لاصطحابه إلى المنزل، كان يعلم مدى شقاوته، لذا يخاف عليه من تهوره وطيشه، خرج مهرولا في لقاء والده الذي ترجل حاملاً ابنه بكل حنو وعطف، أجلسه بجانبه ثم انطلق ينهب الطريق وأسئلة طفله التعجيزية المتتابعة تشغل تفكيره لكن سؤالاً اعتراضيًا ألجمه لبرهة قبل أن يجيب.

- بابا أنا من فين جيت؟

- تمتم الأب بكلام غير واضح،كيف أجيب على هذا السؤال؟

ثم قال: اسمع يا ابني أنا وماما نحبك كثيرا ثم تجمع حبنا فجئت أنت.

- كيف؟

- لا حول ولا قوة إلا بالله، أنت يا بني صغير الآن وسوف تعرف إذا كبرت.

- ولكن أريد أن أعر ف الآن؟

- معلمو آخر زمن، كيف يفتحون عقول الطلاب على

هذه المعلومات؟!

- أكيد يا ابني معلمكم سألكم هذا السؤال؟

- لا يا بابا لم يسألنا.

- أجل من أين جئت بهذا السؤال؟

صاحبي في المدرسة سألني أنت جيت من فين؟

- ولماذا لم تسأله أنت نفس السؤال؟

- لقد سألته

- وماذا قال لك؟

- قال: إنه جاء من حي الميناء.

انفجار صمت

انفجار صمت

صوته يخترق أزيز السيارات وأصوات أبواقها، الحرم.. الحرم.. الحرم بلهجته المكية العذبة وكلماته المتتابعة كلما رأى مجموعة من الواقفين بجوار الطريق، أخذت يده على وضع شماغه على كتفه كلما نزلت عنها دون ترتيب، سيارته مملوءة ينقصها ركاب ثلاثة.

حرصه على التوقف زاد من تبرم الركاب، يلتفت بعضهم في وجه بعض لا أحد يتكلم، صوت الأذان يتردد وتتعانق جمله وكلماته في الفضاء، الحرم.. الحرم.. خلاص يا أخي ألحق الصلاة في الحرم.... أنفجر أحد الركاب فكان إيذانا للبقية المتربصة به بانهمار أصواتها المحتجة والآمرة بالسير الحثيث، سكت السائق تمامًا مسرعًا دون أن يلتفت للخلف.

العودة سائحًا

العودة سائحًا

في شرفته بالدور الثالث حيث ينزل سائحًا جلس ينظر إلى الشارع، ينفث قلقه المعتمل في داخله زفرات بين الحين والحين وهي عادة تصاحبه في كل وصول له إلى مكان جديد، بدأت نفسه ترتاح ويغادره قلقه شيئا فشيئا، تلتهم عيناه كل تفاصيل الشارع والمارة، بانوراما الشارع تغريه بالنزول خاصة وأنه مجاور الشاطئ الغاص برواده، ظل يجوس بعينيه ورجليه الشاطئ المزدحم معيدًا سيرة جده الذي جاس وخاض بخيله يومًا ما هذا الماء وأقسم أن يعبره لو علم أن خلفه أحدًا، أما هو فقد اكتفى بالخوض راجلاً بين أجساد الشاطئ الناضجة والشهية إلى نفسه الفتية حتى كلّتْ قدماه اللتين يجرجرهما منتهية به خطواته إلى مقهى يحتل مكانًا مشرفًا على الشاطئ، رمى نفسه على أقرب كرسي صادفه ممددًا رجليه إلى الأمام ومميلاً ظهره للخلف وقد رمى مفاتحه ونظارته الشمسية على الطاولة وأمال مقدمة قبعته مع مستوى نظره الأفقي يشاهد الذاهبين والعائدين بين المقهى والشاطئ، يتبادل الابتسامات والإيماءات مع البعض. يمد نظره طويلاً في عرض المحيط حتى تموت الرؤية لهاثًا في الأفق الضبابي البعيد

ثم يغمض عينيه ليعيد الكرة من جديد ،تبدو له أمه بهيئتها القروية وآخر كلماتها له قبل مغادرته (لا تنسانا وأنا أمك من دعاك يقولون دعوة المسافر مجابة يا ولدي) يفتر ثغره عن ابتسامة وهو مغمض العينين، نسمات الأطلسي الباردة تداعب خصلات شعره ووجهه المعروق فيحلو له الاسترخاء وقتًا أطول.

لك الله ياهذا المحيط كم تأسرني بحبك، كم تبدو جميلاً بناسك وهوائك وترابك، بما سمعنا من حكايا وخفايا: كيف أوقفت حاملي الهداية لنشر السلام؟ كيف ساعدت الإنسان على ظلم أخيه الإنسان وأنت تحمله إلى الطرف الآخر منك للسخرة والعبودية؟ كيف حطمت آمال وأحلام وطموح وجمال بجبروت ساعة غضب عصفت بالتيتانيك دون رحمة؟ وأنت الآن تأسرني تغريني بجمعك سحر الشرق وحسن الغرب...

آآآآه منك إني أخافك قدر عشقي لك...

صوت ندي يوقض فيه إحساسه بالزمان والمكان يناديه مع الجميع، حي على الصلاة، حي على الفلاح، يهب من سنته هاويًا بكفيه على فخذيه العاريتين.

قلوب يمتهنها الوهم

قلوب يمتهنها الوهم

ينام وهمه يفت كل سلامى في إهابه ويصحو وهو متلبسه، أصبح متعايشًا معه رغم بحثه المتواصل عن علاج له، لم يفلح سعيه إلى نتيجة مما زاد انتكاساته وتشبث العلة به أكثر بعد كل محاولة علاجية.

الراقي أكد له بكل ثقة أنها عين حاسدة أصابته وسيرتاح منها بمجرد القراءة والنفث عليه، الطبيب النفسي أقنعه أنها حالة مرضية بسيطة سوف تنتهي بانتهاء الجلسات وتناول العقاقير التي قررها له، صاحبه الوحيد والذي يسر له بعلته طمأنه أن هذه الحالة ستنتهي بوصوله إلى عمر الرجال.

وعود سرابية لم يتحقق منها واحد رغم غزو الشيب لمفرقه وفوديه، محاولاته الكثيرة والفاشلة لقهر هذا المرض التي أجبر نفسه عليها في أماكن بعيدة عن محيطه الاجتماعي زادتهترديًا وهمًا فهو لا ينسى اقتحامه أحد المنابر في مكان نائي لإلقاء موعظة، وكذلك مباركته لأحد زملائه بزواجه أمام حشد المدعوين أو حتى صلاته بالجماعة على إحدى الطرقات أثناء سفره، فبعد كل محاولة يظل يراوح مكانه على

سير الحياة المستمر يظل يجري ويجري ولكنه لا يغادر حالته.

كان تعرقه ورعشته واضطرابه مثار للضحك والشفقة في آن واحد، يبيت كل ليله يشكو همه، يبكي بكاء الشموع التي تفنى صامتة، يناجي ربه يتمنى لو يؤخذ من عمره بضع سنين على أن يعيش سويًا كالآخرين، يشعر أنه الوحيد في هذا الكون الذي يحمل همه على كاهله في كل مكان، يتسلل النوم العصي إلى عينيه المسهدتين بعد ممانعة وهو ممدد على سريره يحس بنقر في وسط صدره يمد يده يفرك بها صدره العاري فيزداد الألم شيئًا فشيئًا ينظر إلى موضع الألم، وفجأة ينفري صدره ويتبدا له رأس طائر بشع الصورة كريه الرائحة، يستوي في جلسته وسط السرير وقد قبض بيديه على عنق الطائر الملطخ بالدماء يسحبه إلى الخارج ثم يرفعه أمام عينيه وقد تدلت رجلاه وهما متقاطعتان على شكل كلمة (لا) ميتًا ليس به حراك، يدقق النظر فيه مذهولاً ثم يرميه بعيدًا عنه في إحدى زوايا الغرفة، يعاود النظر إلى مكان خروجه من صدره وقد ألتأم تمامًا وزال ألمه.

تنفس الصعداء وقد هب من نومه فزعًا أشعل النور وبدأ ينظر و يتحسس صدره العاري، يتمتم باستعاذات معتادة في مثل هذه المواقف.

يتلفت حوله ينقل نظره بين صدره وزوايا غرفته، الرائحة إياها ما زالت في أجواء المكان تكاد تخنقه وصورة الطير لم تبرح مخيلته ولكن لا وجود له، خرج يمشي يحس بفرح غامر يتلبسه لا يدري مصدره يشعر بنفسه محلقة ينظر فرحًا إلى النجوم الساكنة والقمر يدنو من المغيب وعلى ضوئه يرى الطير ورجليه المتقاطعتين في الافق البعيد تتلاشى صورته حتى اختفى، صفاء روحي يمتطيه وصهيل الفرح يخرج من مسام جلده، يدني يديه من أنفه يشمها لا تزال رائحة الطير الكريه ساكنة في يديه مما يزيد شعوره بالانتصار.

الفهرس

إهداء ٥

الرحلة الحلم ٧

ثورة الحرمان ١١

الختان ١٧

البشارة ١٩

انفراج ٢٣

التحليق حول الوهج ٢٧

قرار ٣١

الرحيل الصامت ٣٥

رضوخ ٣٩

ندم ٤٣

انتصار ٤٧

وداع ٥١

إياب ٥٥

استسلام ٥٩

الإيثار ٦٣
التائهة ٧١
فلسفة ٧٥
انفجار صمت ٧٩
العودة سائحًا ٨٣
قلوب يمتهنها الوهم ٨٧

السيرة الذاتية

◆ عبد الله بن علي المطمي

- بكالوريوس جغرافيا كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٩٩١م.
- عضو منتدى السرد في نادي أبها الأدبي.

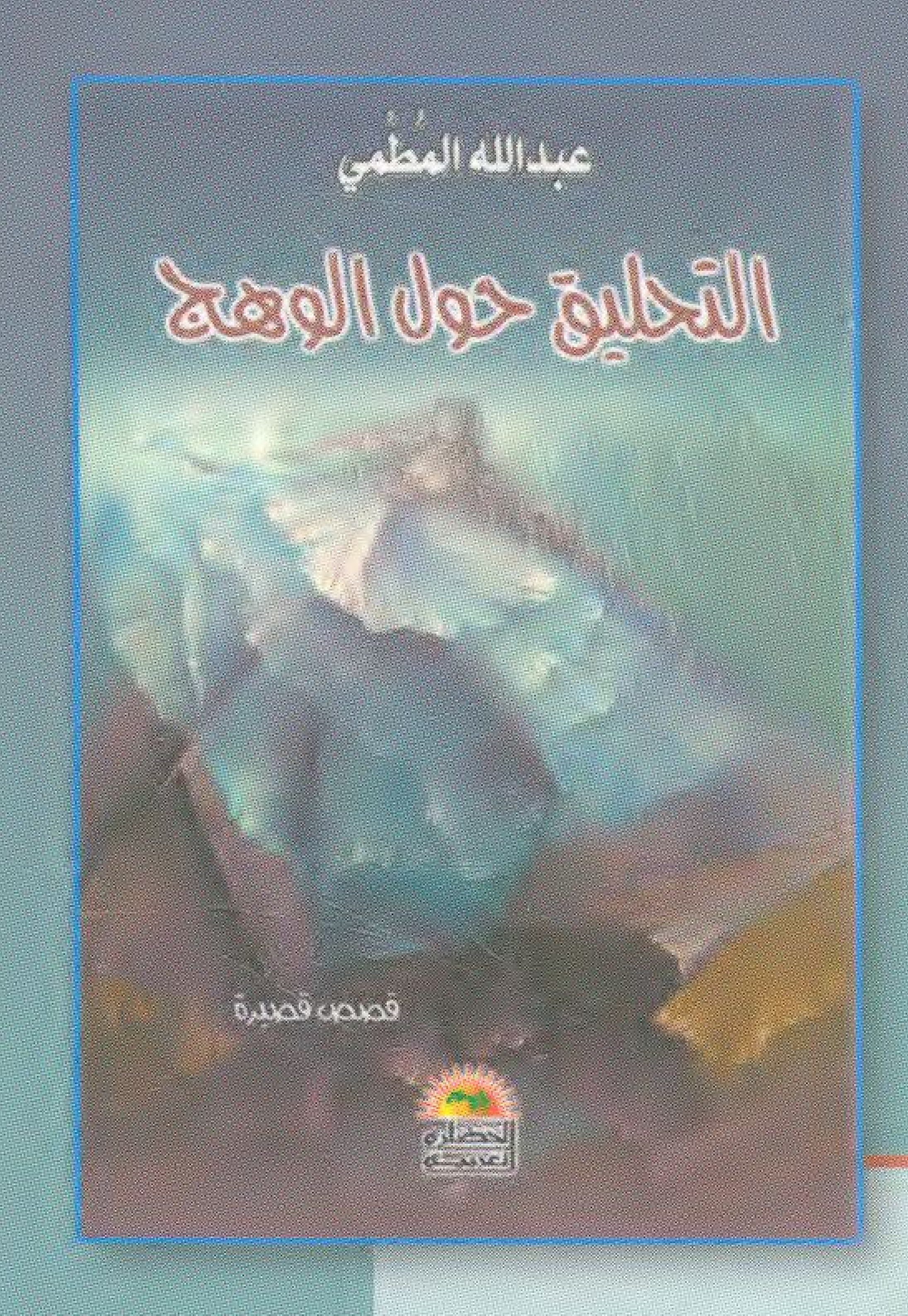
E-mail: almotmi9009@hotmail.com

من قائمة الإصدارات "رواية – قصة"

ليلة العشق والدم	إبراهيم عبد المجيد
وراء السراب قليلا	إبراهيم درغوثى
حيطان الريح	إبراهيم الناصر الحميدان
حمدان طليقاً	أحمد عمر شاهين
ملاعيب الأكابر	أحمد الشيخ
سريب	أحمد الفيتورى
وقائع غرق السفينة	إدريس على
طريق النسر	إدوار الخراط
صخور السماء	إدوار الخراط
صيد الحضرمية	أمير تاج السر
همس القوارير	تركية عبد الحفيظ
مطرية الغروب	جمال الغيطانى
تكوينات الدم والتراب/الخروج عن النص	د. جمال التلاوى
رفيف الترائب	خالد الأنشاصى
كيد النسا	خيرى عبد الجواد
حب خلف المشربية	د. رشا سمير
حالات الروح	زكريا عبد الغنى
أوزار	سليمان زيدان
عندما تموت الملائكة	صابرين الصباغ
الطماشة	عباس منصور
الدميرة	د. عبد الرحيم صديق
مرسى ديله	عبد الفتاح البشتى
حكايا أنثوية	عبد الفتاح صبرى
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
آخر ما قاله النهر	عز الدين الأسوانى
سراديب	عفاف السيد
إينارو	د. علي فهمي خشيم

ولا يزال المعطف معلقًا	على مصطفى المصراتى
جنية الشفق (قصص شاعرية قصيرة جدًا)	د. فاروق أوهان
تاء مربوطة	فاطمة يوسف العلى
الحمامة البرية	فؤاد قنديل
فنار الأخوين	فوزية مهران
أعباء	كريم شملان
الفتيت المبعثر	محسن الرملى
المداسة	محمد الأصفر
مد الموج	محمد جبريل
العابدة	محمد جراح
هالة النور	محمد العشرى
رماد مشتعل	سيف المرى
حريم .. (أعزكم الله)	محمد الفريبى عمران
الخروج إلى النبع	محمد قطب
الحياة مفرد مؤنث	محمود قاسم
شمس الملوك	مريم الخولى
حافة الفردوس	نبيل عبد الحميد
وبر الأحصنة	نجوى بن شتوان
شموع تحترق	نفيسة الشرقاوى
المشى إلى مدار المطر	نمير بن سالم آل سعيد
تحت المجهر(رواية من الخيال العلمى)	نهاد شريف
قمر أخضر	نهلة السوسو
الولايا و....	هناء زكى
أنت وحدك السماء	هيام عبد الهادى
امرأة بين الرجال	وفية خيري

بالإضافة إلى العديد من الكتب الأدبية؛ رواية.. قصة.. دراسات ونقد وكتب متنوعة: سياسية، قومية، دينية، معارف عامة، تراث، أطفال.
خدمات إعلامية وثقافية





خلف سُجُفِ الصمتِ والتأملِ، تختفي روحٌ شفيفةٌ، تسفر عنها هذه القصص، التي يُسجِّلُ فيها الكاتبُ ومضاتٍ عابرة في زمكانيتها، عميقةً كُلَّ العمق في إنسانيتها..

تقول لنا هذه القصص أن هناكَ تصالحًا بين الكاتبِ والحياة، فليستْ رصدًا رافضًا لما حدثَ ويحدث، بقدر كونها سردًا هادئًا ومتأنيًا، بريئًا من الأحكام الاستباقية التي تزجُّ بالقارئ في خانة الرفض..

في هذه القصص تحْضرُ المرأة التضحية، المرأة الحبُّ، المرأة النُّبلُ، المرأة العطاء، المرأة الجمال، المرأة التي يستهويها الوهج فتُحلِّق حوله، حتى توشك أن تحترق، حضرت المرأة بصورتها الإيجابية والسويِّة، فكانت محورًا في أكثر قصص المجموعة..

أجزمُ أن قارئ هذه القصص التي تمثِّلُ النتاج الأول لك... سيشاركني الشعور بالتعاطف مع شخوصها، المصبو... بالرِّقةِ وفيض الإنسانية، التي كانوها لأنهم صنيعةُ ك... يفيض بالرقة والإنسانية..

إبراهيم مضواح الأل...

